مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العددان التاسع والعشرون والثلاثون

لسنة 1436 - 1437 الهجرية الموافق: 2015 - 2016 الميلادية

القيم الإسلامية في المجتمع الصيني

د. مصطفى فرج العماري زايد
الجامعة الأسمرية الإسلامية. ليبيا

مدخل:

القِيَم: جمع قيمة وأصلها الواو؛ لأنها من مادة (ق و م)، التي تدلّ على انتصاب أو عزم، فقُلبت الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها. يقول ابن منظور: والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وسُمّي الثمن قيمة؛ لأنه يقوم مقام الشيء[1]. ومن ذلك (القيِّم) في قوله عز وجل: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾[2]، على رواية من قرأ (قَيِّماً).

قد تعدّدت المدارس العلمية واختلفت في تحديد مفهوم القيمة، باختلاف الاتجاهات والآراء، والذي يعنينا هنا هو مفهوم القيم الإسلامية، فهو: «مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصوّرات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صوّرها الإسلام، وتتكوّن لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكّنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكاناته، وتتجسّد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة»[3].

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ق و م.
(2) سورة الأنعام، من الآية رقم: 161.
(3) علي خليل مصطفى، **القيم الإسلامية والتربية**، ص43.

لقد جاءت الرسالة الإسلامية متمّمة للأخلاق بما اشتملت عليه من مبادئ أخلاقية عامة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كانت مثالاً لتنظيم العلاقة بين التجمّعات البشرية المختلفة في إطار ضوابط عامة تربط بين أُسس القانون وأُسس الأخلاق، كاحترام الإنسان واعتبار إرادته أساساً في التعاقد والتعامل، وإبطال كلّ تصرّف وعقد يقع بالإكراه، واعتبار مفهوم العدل مفهوماً عاماً وشاملاً[1].

كما أَصَّل النبي ﷺ في أكثر من مناسبة لتنظيم علاقات متكافئة بين تعبيرات الصراع في الكيانات المختلفة دولية كانت أو محلية (قبلية)، الأمر الذي نلاحظه بوضوح في صلح الحديبية، بين مشركي قريش والمسلمين حيث فضّل النبي ﷺ عهداً غير متوازن يرافقه سلام عشر سنوات على الحرب، رغم كلّ ما أتت به الحرب من غنائم زرعت أولى الامتيازات المادية للانتماء الإسلامي[2]. وفي مجال نظام التحكيم الذي نشأ في العديد من المجتمعات البشرية بما فيها الجزيرة العربية، حيث امتدح النبي ﷺ العديد من مظاهر التحكيم في مكة دون أن يقترح قانوناً أو يشير ببديل، ووصل المدينة دون اقتراح، ولكنه أقرّ بطريقة (التحكيم) العربية كلما راجعه مسلم في قضية أو مناوشة تتطلّب مشورة أو رأياً، وقد جاء القُرآن في هذا الاتجاه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3].

وعلى سبيل المثال نجد قيمة إسلامية أُخرى، وهي العفو، فالعفو على بساطته ووضوحه، من أكثر القضايا صعوبة في التطبيق والممارسة؛ ولذا وَرَدَ الحضّ على العفو كثيراً في القرآن: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾[4] ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ

(1) هيثم مناع، **حقوق الإنسان**، ص12، 42، 151.
(2) ابن هشام، **السيرة النبوية**، 4/ 285.
(3) سورة النساء، الآية رقم: 65.
(4) سورة البقرة، الآية رقم: 108.

فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والآيات كثيرة في هذا الباب.

ويأتي مفهوم الرحمة ليعزّز هذا الأساس العميق للعفو: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[2] ففي تفسير الخازن: «الرحمة: ترك عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحق»[3].

وعندما انقلبت موازين القوى كلّياً لصالح الرسول ﷺ وفُتحت له مكة بدون قتال، سأل قيادات قريش ومن حاربوه إلى آخر لحظة: «ما ترون أني صانع بكم؟». قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[4].

ومن الملاحظ أن الرسول ﷺ حبّبت مواقفه قيمة العفو والصفح والتجاوز عن الآخرين دون أن يُلزم بها، وهذا المبدأ الإسلامي ترك الهامش واسعاً أمام طبيعة الحكم المُطبّق مع الحثّ على تخفيف العقوبة. وفي المقابل نجد أن قيمة العدل قد حضّ عليها الدِّين الإسلامي الحنيف، ولا ترد كلمة بدلالة الحاكمية في القُرآن دونما علاقة بالعدل ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[5]، هنا يصعب مناقشة الإفلات من العقاب بمعزل عن هذا المفهوم المركزي.

وأما ما حصل للنبي ﷺ والمسلمين، من أمر القتال فلم يكن اختيارياً وإنما كان على كره واضطرار تأميناً للدعوة إلى دين الله، ودفاعاً عن الأعراض والأموال والدماء. وعليه، فإن قرار العفو الجماعي الذي أصدره النبي ﷺ في فتح مكة كان ظرفاً استثنائياً من أجل تحقيق مصالحة شاملة.

(1) سورة الشورى، الآية رقم: 40.
(2) سورة آل عمران، الآية رقم: 159.
(3) تفسير الخازن، المسمى **لباب التأويل في معاني التنزيل**، 1/ 18.
(4) البيهقي، **السنن الكبرى**، وفي ذيله علاء الدين التركماني، **الجوهر النقي**، مجلس دائرة المعارف النظامية، طبعة 1344هـ، حير آباد-الهند، 9/ 118.
(5) سورة النساء، الآية: 58.

وفي جانب إنساني آخر طبّق المسلمون العدل في أعلى صوره، بدءاً برسول الله ﷺ الذي حكى عنه القُرآن قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1]، فقد وضع نفسه في مصاف مرتبة البشر، ولم يحمله شرفه العظيم للامتياز عن الناس تبريراً لأخذ حقوقهم من غير وجه حق؛ بل كان نموذجاً رائعاً في إقامة العدل، حتى على نفسه الكريمة رغم كونه نبي الله ورسوله.

وفي جانب الإخاء، نجد أن الإسلام لم يبنِ الأخوة على النسب والجنس، وإنما كانت بتآخي مجموعة من الناس في العقيدة، ويشتركون في الدِّين، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[2].

وفي قيمة إنسانية أُخرى نجد الحرية، التي هي قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بإرادته الذاتية، بعيداً عن سيطرة الآخرين، ولكن هل الحرية في الإسلام تعني الإطلاق من كلّ قيد، لا يعني بطبيعة الحال إقرار الإسلام للحرية، أنه أطلقها من كلّ قيد وضابط؛ لأنها بهذا الشكل أقرب ما تكون إلى الفوضى التي يثيرها الهوى والشهوة، والإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مدني بطبعه؛ فوضع لذلك قيوداً تضمن حرية الجميع.

ومن القِيَم الإنسانية في الإسلام قيمة الجمال، والذي من سِمَاته التناسق والتنظيم، فيقوم على التقدير والضبط والإحكام، وقد تحدّث القُرآن الكريم عن هذه السِّمة، مقرّراً اعتبارها في أصل الخلقة والتكوين، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[3].

لقد كان بعض هذه القِيَم الفاضلة، والأخلاق الكريمة، والمواقف الإنسانية الرائعة، موجوداً في البيئة العربية قبل الإسلام مثل الشجاعة والشهامة والتضحية والنجدة ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف وخلق الإيثار والكرم

(1) سورة الكهف، الآية رقم: 110.
(2) سورة الأنفال، الآية رقم: 63.
(3) سورة الفرقان، الآية رقم: 2.

والسخاء، وغير ذلك من القِيَم الأصيلة التي عرفها المجتمع العربي قبل الإسلام، وجاء الإسلام فألغى ما يتعارض مع المبادئ السمحة التي جاء بها، وأبقى ما يتماشى معه منها، وسما بها، وأضاف إليها ليبني مجتمعاً إنسانياً متماسكاً ومتعاوناً وقوياً لم يشهد التاريخ له مثيلاً على مرّ العصور والأزمان.

كما أن للأخلاق النبيلة التي تحلّى بها الرسول ﷺ أثراً بارزاً في سيرة الصحابة، ظهر جليّاً في أفعالهم في عهد النبوة، وما بعده في عصر الخِلافة وتلقّاه منهم التابعون، فحسنُ أخلاقهم وعلوُّ مرتبتهم قد ظهرا في تصرّفاتهم ومعاملاتهم وبيوعاتهم مع أصحاب المِلَل والعقائد الأُخرى، فكانت أخلاقهم وسيلة وسبيلاً لنشر الإسلام ودخول الناس فيه عن قناعة حتى انتشر الإسلام في كلّ البلاد العربية، بل إلى أبعد من ذلك حتى وصل بلاد الصين وما جاورها[1].

المبحث الأول: القِيَم الإسلامية في المجتمع الصيني المسلم.

إن الصلات التجارية بين بلاد الجزيرة العربية والصين قد توطّدت قبل مولده ﷺ بزمن طويل؛ حيث كانت التجارة عن طريق سيلان وغيرها، وكذلك التجارة التي كانت مزدهرة في بداية القرن السابع بين الصين وفارس وبلاد العرب[2].

ولا يُعرف بالضبط تاريخ دخول الإسلام لأيّ بلد، إلا إذا اقترن ذلك بحادثة غير معتادة كإسلام ملك من ملوك البلاد تبعه على إسلامه كلّ شعبه أو أكثر أفراده، كما حدث في إسلام أهل جزر مالديف في المحيط الهندي عندما أسلم الملك، فأسلم معه أهل الجزر أيضاً[3].

وقد ذكر المؤرّخون الصينيون أن أول اتصال بين المسلمين والصينيين في

(1) راجع: محمود شاكر، **المسلمون في الصين، عبرة وتاريخ**، ص79.
(2) الدكتور حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، 1/ 328.
(3) راجع كتاب: **داخل أسوار الصين، رحلة وحديث في شئون المسلمين**، 1/ 33.

زمن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ حيث وصلت إلى مدينة (تشانغان) في مقاطعة شنشي حالياً، أول بعثة وكان ذلك على هيأة سفارات، وذكروا أن وصول تلك السفارات الإسلامية كان في عام 651م[1].

وهذا ما أكده صاحب كتاب (تانغ القديم)، سنة (650-674م) أنه بدأت (داشي) -اسم بلاد العرب في الكتب الصينية القديمة- ترسل سفيراً لتقديم الهدايا للإمبراطورة (قاو زونغ)، وهذا التاريخ يقابل سنة (31هـ) أي عهد الخليفة عثمان بن عفان، وهو تسجيل صيني رسمي للاتصالات الإسلامية الصينية على مستوى السفارات، ويُعتبر بداية دخول الإسلام إلى الصين في نظر الصينيين المسلمين[2].

إن دخول الإسلام إلى الصين منذ الصدر الأول منه، فتح عهداً جديداً للاتصالات القديمة بين المنطقة العربية (مهد الإسلام) والمنطقة الصينية، والتي كانت تزخر بعلاقات طيبة عن طريق التبادل التجاري بينها وبين تلك البلاد.

وقد ترتّب على التبادل التجاري والثقافي بين العرب والصين ما لم يكن بالحسبان، وهو نشر الدِّين الإسلامي في الصين ومزج الثقافتين العربية والصينية، وكان العرب المسلمون يبنون المساجد في الأحياء الإسلامية بمدن الصين الكبيرة، وكانوا يتكلّمون اللُّغة العربية في البيوت وفي أداء الفرائض الدِّينية وينطقون اللُّغة الصينية في الأسواق والأعمال، وكان أولادهم يدرسون اللُّغة العربية في البيت أو الفصل الدراسي الملحق بالمسجد، ويدرسون اللُّغة الصينية وثقافتها في المدرسة، وأصبحوا هم الأوائل الذين مزجوا الثقافة العربية بالثقافة الصينية دون قصد منهم.

وإذا كان للزحف المغولي على البلاد الإسلامية والقضاء على الخِلافة

(1) راجع كتاب: **داخل أسوار الصين، رحلة وحديث في شئون المسلمين**، 1/ 34.

(2) محمد يوشع يانغ هواي جونغ، وعلي يوى تشن قوى، راجع: **الإسلام والحضارة الصينية**، دار نشر: شعب نينغشيا، سنة 1995م، ص52.

العباسية وسقوط بغداد أثر عظيم على البلاد الإسلامية في المنطقة العربية، فكان له أيضاً أثره على بلاد الصين، فعندما واصل المغول زحفهم على الصين جلبوا معهم أعداداً كبيرة من رجال القتال والعلماء من آسيا وجزيرة العرب؛ لمساعدة المغول في القتال والتعمير، وبرز منهم عدد كبير تقلّدوا المناصب المهمّة والرسمية خلال ثمانين سنة بين وزير وحاكم إقليمي[1].

دخلت بعض الجماعات الصينية في الدِّين الإسلامي الذي شكّل عاملاً مهماً في تكوين جماعة صينية تدين بالإسلام، وتتعاطف مع قضايا العرب والمسلمين، وتزايد عدد تلك الجماعات بشكل مطّرد في مقاطعات: (كانتون، ويانغ شو، وجويانغ شو، وفي مدينة كانجانفو، وغيرها)، وكان التجار العرب يتكلّمون اللُّغة العربية في بيوتهم، ويقيمون الصلوات والفرائض الدِّينية بالعربية، لكنهم يتحدّثون اللُّغة الصينية خارج بيوتهم، وكان على أولادهم أن يتعلّموا العربية في البيت، والصينية في المدرسة، والشارع، والسوق، فشكّلوا طليعة القوى البشرية التي ساهمت في تعميق التفاعل الثقافي بين الثقافتين العربية والصينية، وهو ما أكدته بعض المصادر المترجمة إلى العربية عام (1997م) أن هناك عشر قوميات صينية ما زالت تدين بالإسلام حتى الآن وهي: (هوى، والويغور، والقازاق، والقرغيز، والتتار، والأوزبك، والطاجيك، ودونغشيانغ، وسالار، وباوآن)[2]. ولم تكن غاية المسلمين منذ بداية الأمر القتال والفساد في الأرض، ولا الحصول على الدنيا وزهرتها، وإلا لاكتفوا بما وصلوا إليه من الأماكن المهمّة التي توجد فيها الصناعة والتجارة والزراعة، ولكن غايتهم كانت إعلاء كلمة الله ونشر العقيدة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور[3].

(1) راجع: جمال الدين باي تشويي، **وثائق تاريخ الإسلام في الصين**، ص180-182. هويدي، **الإسلام في الصين**، ص49.

(2) راجع: د. مسعود ضاهر، **الحوار بين الثقافة العربية والثقافة الصينية (العلاقة الثقافية العربية والصينية) الواقع والآفاق**، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بالجامعة اللبنانية، ص172.

(3) راجع: محمود شاكر، **المسلمون في الصين، معالم وخطوط**، ص71.

وقد كان أكثر انتشار للإسلام في عصر المغول، وهو ما أكدته المصادر الوثيقة كمؤلّف جامع التواريخ لـ (رشيد الدِّين فضل الله). وقد وقف المحلّلون حيارى في تعليل هذه الظاهرة، فقد صارت ثمانية ولايات من بين اثنتي عشر ولاية من ولايات الصين في ذلك العهد تدار بواسطة حكام مسلمين، وذلك بخلاف وزير المالية الذي كان يسمّى (شمس الدِّين، الملقّب بالسيد الأجل)، ووزير الحربية (علي يحيى الأيوغري)[1].

أما ما يخص حياة المسلمين في المجتمع الصيني المسلم وما تحمله من تأثير في المجتمع الصيني، فيمكن تلخيص بعض منها نظراً لقلة المصادر حول الكتابات الصينية التي وردت منها.

ففي مجال الحكم والإدارة، برز شخص من أصل عربي من آل البيت اسمه شمس الدِّين عمر (1211-1279م) عاشت عائلته في مدينة بخارى في آسيا الوسطى وأجداده أمراء المدينة. وحَسَب ما تسجّله كتب التاريخ أن شمس الدِّين عمر كان من المقرّبين للإمبراطور جنكيز خان، ثم تولى القيادة العسكرية لمنطقة بشمال الصين، والقضاء بمدينة بكين، ثم نائباً للوزير الأول (سنة 1264م)، كما استدعاه الامبراطور قبلاي خان (سنة 1274م)، وعيّنه حاكماً عاماً لمنطقة (يوننان)، وقال له قبلاي خان إن منطقة (يوننان) مهمّة جداً وزرتها في الماضي ولكنها اليوم غير آمنة ولا مستقرّة بسبب عدم كفاءة الحكّام السابقين، وكان يرى فيه الإخلاص والاتزان والكفاءة لأداء هذه المهمة وتمّ له ذلك. وبقي بمنصبه هذا حتى توفي عام (1279م) في مدينة (كونمينغ) ودفن بها[2].

ومما يذكر عن سيرة هذا القائد المسلم، أنه كان قائداً عسكرياً شجاعاً،

(1) المرجع نفسه، ص26.

(2) محمد يوشع يانغ هواي جونغ، راجع كتاب: **دراسات في تاريخ قومية هوى المسلمة الصينية**، ص213، وجمال الدين باي تشو يي، **سيرة الشخصيات من قومية هوى المسلمة الصينية عبر التاريخ**، ص92-93.

ورجلاً سياسياً فذّاً صالحاً، وكان يولي الاهتمام الكبير بتحسين معيشة الشعب ومساعدة الفقراء ورفع الإنتاج الزراعي وتخفيف الضرائب وتحسين ظروف المواصلات ونشر العلم والثقافة وتحسين وسائل الري[1].

وبهذه الإدارة الجيدة من أمثال هذا القائد المسلم وغيره في المجتمع الصيني، توطّدت السيرة الحسنة والمبادئ النبيلة للدين الإسلامي بين الصينيين في ذلك الوقت.

كما تذكر دائرة معارف القرن العشرين أن (قوبلاي خان) عين وزيراً مسلماً في حكومته اسمه (أحمد البناكتي)، (أهاما) بالصينية.

ومن ناحية أُخرى، فإن بعض العرب الذين استقروا في تلك البلاد تلقوا التعليم الصيني واجتازوا الامتحان الرسمي للخدمة بالحكومة وأصبحوا من كبار الموظفين ومنهم شقيقان مسلمان أحدهما (بوشوشنغ) الذي عيّن قاضياً، ونظم ديواناً من الشعر الكلاسيكي، والآخر (شوقنغ) الذي كان مساعد رئيس وزراء (قبلاي خان)[2].

وفي قيمة أخلاقية أُخرى في مجال التعاون والتكاتف، نجد أن العلاقات والزيارات بين مسلمي الصين قد عادت ممثّلة في الجمعية الإسلامية الصينية ومختلف الهيئات الإسلامية على النطاق الرسمي، وظهرت المصاحف والكتب الإسلامية وتُدُوولت بعد أن كانت معدومة نتيجة مصادرتها من أيادي المسلمين وإتلافها بالحرق أثناء الثورة الثقافية.

ولقد كان من نتيجة دخول الإسلام إلى الصين -كما أسلفنا- سنة (651م) في عصر أسرة (تانج) تطوّر أوضاع المسلمين، فانتشرت المساجد، وتمّ إدخال اللغتين العربية والفارسية، وتمّت مصاهرات بين العرب والمسلمين

(1) جمال الدين باي تشو يي، راجع كتاب: **سيرة الشخصيات من قومية هوى المسلمة الصينية عبر التاريخ**، ص92-93، وعلي لي تشين تشونغ، **آثر العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ**، ص205.

(2) راجع: هويدي، **الإسلام في الصين**، ص50.

مع أهل البلاد الأصليين حتى كوّنوا في نهاية الأمر نوعاً جديداً من النسل لم يكن مألوفاً في الصين[1].

ومن المآثر التي يذكرها الصينيون للمسلمين -وهذه تدخل تحت قيمة إغاثة الملهوف- أنه كثيراً ما تحصل كوارث طبيعية ومجاعات، فيضطر الآباء إلى بيع أولادهم في الأسواق، فيسارع المسلمون إلى مساعدتهم وتربيتهم تربية إسلامية، ويدينون بدين الإسلام الذي نشأوا عليه وتربوا، وعن طريق مثل هذه المعاملات الحسنة من قبل المسلمين انتشر الإسلام أكثر في تلك البلاد[2].

وقد حصل ذلك أيضاً مع المسيحيين سنة (1900م) عندما لقي المسيحيون الاضطهاد على أيدي حركة (الملاكمين) في الصين حيث عمد بعض المسيحيين إلى بيع أبنائهم فلم يجدوا من يتقدّم لمساعدتهم غير المسلمين لدوافع إنسانية محضة[3].

أما قيمة التشريف والاحترام والتقدير، فهذه القِيَم المتجلّية في طريقة التعامل مع الآخرين، فقد حظي بمثل هذا الوفدُ الذي أرسله الامبراطور (مينغ تشنغ تسو)، بقيادة القائد المسلم (تشنغ خه الملقب بـ سان باو، 1371-1435) بصفته سفيراً ببلدان في جنوب آسيا الشرقي والمحيط الهندي، وساحل إفريقيا، مستهدفاً تعزيز العلاقات الودية بين الصين وبين تلك البلدان[4].

وأينما وصل أسطول (تشنغ خه) ورجاله لاقى ترحيباً حاراً، وكلما رجع أسطوله إلى الوطن صحبه بعض الملوك أو السفراء لزيارة الصين[5].

وفي مجال التعليم أنشأ المسلمون في الصين أجهزة علمية متخصّصة

(1) د. فوزي درويش، **الشرق الأقصى الصين واليابان**، ص24.
(2) المرجع نفسه، ص27.
(3) المرجع نفسه، ص27.
(4) راجع: "تاريخ الصين: **مجلة بناء الصين**"، بكين، توزيع: الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب (موزي شوديان)، 2/ 53.
(5) المرجع نفسه، 2/ 54.

خاصة بالعلماء المسلمين، منها: إدارة المرصاد الفلكي، وإدارة الصيدلية (الأجزاخانة) للإشراف على تحضير العقاقير العربية للاستعمال الخاص بالقصر، وكذلك إدارة صناعة المدفعية للاستفادة من الفنيين المسلمين في صناعة آلات الرماية وقذائفها، وإدارة تعليمية خاصة لعلوم المسلمين، وبدأ التفاعل المثمر بين الثقافتين الصينية والعربية في عهد سلالة (يوان المغولي، 1279-1368م)[1].

وقد بقي التعليم الإسلامي وتحفيظ القُرآن الكريم في تلك المجتمعات الإسلامية الصينية يتمّان خفية بعيداً عن أنظار السلطات الشيوعية وبحذر تام فترة من الزمن، وهو ما أكده الحجّاج القادمون من (سينكيانغ) التي كانت تسمّى (تركستان الشرقية) في القديم، علاوة على أن تغاضي الحكومة عن بعض التصرّفات الإسلامية الفردية لا يعني شرعية التعليم الإسلامي وإجازته؛ بل تحتفظ الدولة بحق المعاقبة، بدعوى إفساد عقول الشباب، وتخريب التعليم الحكومي الشيوعي[2].

ويوجد اليوم في الصين أكثر من (34 ألف) مسجد، و(420) جمعية إسلامية تعمل في مجال الدعوة والإغاثة والعمل الاجتماعي التطوّعي والتعليمي في المناطق التي يعيش بها المسلمون. كما يتوفّر حالياً عشرة معاهد إسلامية يدرس فيها ستة آلاف طالب؛ حيث يتعلّمون تفسير القُرآن والسُّنَّة النبوية وعلم التوحيد وتاريخ العرب واللُّغة العربية والفقه. وهنالك عشرات الجرائد والمجلات التي تناقش قضايا الثقافة الإسلامية ومن أهمها (مجلة المسلم الصيني). ومنذ انتهاج الصين سياسة الاصلاح والانفتاح إلى الخارج عام (1978م)، دخلت الصين مرحلة تنموية سريعة مما فتح صفحة تاريخية جديدة لتطوّر الإسلام في الصين من الناحية السياسية، إذ تعيش عصر نهضة

(1) راجع: جمال الدين باي تشوبي، **وثائق تاريخ الإسلام في الصين**، ص180-182.

(2) محمد بن ناصر العبودي، راجع كتاب: داخل **أسوار الصين، رحلة وحديث في شئون المسلمين**، 1/ 25.

بعد أن عانت من الثورة الثقافية التي قام بها الزعيم (ماو تسي تونغ). ويوجد عدد غير قليل من ممثّلي المسلمين من الأقليات القومية في الحكومات الشعبية ومجالس نواب الشعب والمؤتمرات الاستشارية السياسية للشعب الصيني على مختلف المستويات[1].

وعليه، فإنه يمكننا القول بأن التفاعل الثقافي بين الصينيين والعرب قد زاد عمقاً بعد دخول جماعات متزايدة من الصينيين للدين الإسلامي، فنقلت بعض المؤلّفات والخبرات الطبية والعلوم من الصينية إلى العربية.

ومع بناء الدولة الإسلامية وازدهارها الحضاري، استفاد الصينيون من تقدّم العرب في علم الفلك، والتقويم الزمني، وعلم الحساب، ونقل الكتب الطبية العربية إلى الصينية، ومنها كتاب (القانون) في الطب لابن سينا، والكثير من الكتب الطبية المترجمة من اليونانية إلى العربية.

وقد ترجمت كثير من الكتب العلمية المنشورة بالعربية، وهي من تأليف العرب وغير العرب إلى اللُّغة الصينية، وكانت المساجد مراكز لنشر العلم والتربية والثقافة، وكانت تُعنى بشكل خاص بتعليم اللُّغة العربية ومبادئ الدِّين الإسلامي عبر الكتاتيب أو المدارس الملحقة بتلك المساجد، وكانت تتضمّن ثلاثة مراحل: ابتدائية، وإعدادية، وعالية أو جامعية؛ حيث يتمّ التركيز على الفقه الإسلامي، والبلاغة، والمنطق، ومبادئ الفلسفة، وعلوم الشريعة، وعلوم القرآن[2].

وفي مجال الطباعة والتأليف، تقوم الجمعية الإسلامية الصينية التي تأسست عام (1953م)، والتي يرأسها الشيخ (برهان شهيدي) بمساعدة الشيخ (محمد علي جانغ جي) من مسلمي قومية (خوي) من ولاية (خي به) بالإشراف على طبع مجموعة من الكتب، وقد طبعت الجمعية في السنوات

(1) راجع: موقع معهد الإمارات التعليمي، (الأقليات المسلمة)، موجودة في موقع: www.uae.ii5ii.com

(2) راجع: **الحوار بين الثقافة العربية والصينية**، ص174-175.

الأخيرة: القُرآن الكريم، وترجمة معاني القُرآن الكريم للشيخ (محمد مكين) باللُّغة الصينية، وترجمة جواهر البخاري مع شرح القسطلاني باللغتين الصينية والتركستانية، وتفسير الجلالين، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ودعاء ختم القرآن، وخطب الجمعة، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين[1].

ومع تحسّن اقتصاد مختلف القوميات التي تعتنق الإسلام وازدياد عدد نفوسها، ظهر التعليم المسجدي في الصين في أواخر عهد أسرة مينغ إذ تطوّر التعليم خلال فترة حكمها حتى أنشأ منه نظام التعليم الإسلامي المستقل بذاته والذي يستخدم مواد دراسية تتسع تدريجياً وتشمل علم التوحيد وعلم الفقه والمبادئ الأخلاقية واللُّغة العربية إلى جانب دراسة القُرآن والحديث النبوي، وقد خرّج التعليم المسجدي آلافاً من الأئمة[2].

وفي ختام هذا المبحث، نشير إلى ما وَرَدَ في الدراسات التي تعنى بحركة المدّ الإسلامي، بأن معظم البلاد التي دخلها الإسلام، قد دخلها عن طريق الدعوة الفردية، وليس عن طريق الجهاد والقتال، ومنها بلاد الصين، التي تُعتبر من أوائل البلدان التي دخل إليها الإسلام، بعد أن مضى على انتشاره فيها أكثر من (1300) سنة، أصبح عقيدة مشتركة لدى عشر أقليات قومية سبق ذكرها. كما أن التبادل الثقافي والفني يرافق هذه النشاطات التجارية، إذ دخلت فنون كثيرة من بلاد العرب والفرس إلى الصين عن طريق الحرير البري أو طريق العطور البري، وكانت مدينة (تدمر) في أوج عزها في فترة ما بين (130-270 الميلادية) والكتابات في (تدمر) ترجع إلى هذا التاريخ، وأن التجارة الدولية فيها كانت تتوسع حتى وصلت إلى الصين[3].

إن انتشار الإسلام في الصين على الرغم من بُعدها الجغرافي، وثقلها

---

(1) راجع: محمد بن ناصر العبودي، كتاب **داخل أسوار الصين، رحلة وحديث في شئون المسلمين**، الطبعة الأولى، 1/ 27.

(2) راجع: تشانغ هونغ (عمار)، كتاب **تعليم اللُّغة العربية في الجامعات الصينية**، ص159. www.ukm.my

(3) راجع: فان وين لان، **موجز تاريخ الصين**، 2/ 85-86.

الاقتصادي والسكاني الكبير، وأصالة حضارتها وقدمها، يُعَدّ من أهم المنجزات التي تحقّقت لهذا الدِّين من خلال انتشاره خارج شبه الجزيرة العربية. ونعلم أن هذا الاهتمام الكبير بنشر الإسلام تجلّى في ما أكّد عليه القُرآن الكريم والرسول محمد ﷺ من السير في الأرض وعلو الهمة.

وأن اهتمام الدولة الإسلامية منذ نشأتها بنشر التعاليم الإسلامية والمبادئ السامية التي يحملها المسلمون مكّن من انتشاره خلال الفترة الأولى من الدعوة الإسلامية، إذ وجدت البشرية ومنها أبناء الشعب الصيني، أن الخُلق الرفيع والمبادئ الإنسانية التي جاء بها الإسلام هي ضالتهم في هذه الحياة.

إن دخول الإسلام وانتشاره في الصين له ارتباط بأخلاق المسلمين، وبالحرية التي يستند عليها الإسلام، فلم يفرض نفسه على أبناء الصين أو غيرهم.

المبحث الثاني: القيم الإسلامية في المجتمع الصيني غير المسلم:

نهدف هنا إلى ذكر القِيَم التي قامت عليها الحضارة والثقافة الصينيتان، اللتان كانتا مصدر إلهام لحياة الشعب الصيني عبر تطوّر تاريخي امتد عبر القرون، محاولين فهم تراث المجتمع الصيني الذي لا يقلّ أهمية عن تراث المجتمعات الأُخرى، وتصحيح الرؤية الغربية التي ترى أن الإبداع والأخلاق لم يكونا إلا في المجتمعات الغربية؛ حيث قسمت الجنس البشري إلى غرب ذي نزعة إنسانية وطابع تفكيري عقلاني وتحليلي، وإلى شرق ذي نزعة غير عقلانية تغلب عليها الحسّية، ومن ثَمّ استحالة أن ينتج الشرق أيّ قيم أخلاقية فكرية وعقلانية، وأن كلّ ما أنتجه كان فكراً دينياً. وقد استمر هذا المفهوم في فترة العصور القديمة والوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إلى أن ظهرت دراسات تؤكّد اكتشاف حضارات قديمة لها قيم أخلاقية لا تقلّ في عمقها وأصالتها عن قِيَم ومبادئ المجتمع الغربي.

وقد تمّ اكتشاف قِيَم إنسانية في تاريخ الصين تفوق كثيراً ما كان يعتقده

الغرب، وتمّ وضع القِيَم الأخلاقية والعقلانية الصينية في مصاف القِيَم القديمة كالهندية واليونانية وغيرها، والغربية الحديثة. هذه القِيَم الإنسانية استطاعت أن تحفظ الكيان الخُلقي لبلاد الصين لقرون عديدة. وهذا التماسك الاجتماعي الذي حفظ للصين استقلالها إلى الآن، إنما يرجع إلى التمسّك بالأخلاق والقِيَم العليا.

هذه القِيَم الإنسانية التي تمسّك بها المجتع الصيني، وعدم تصادم الإسلام مع القِيَم الإنسانية العليا للشعوب، إضافة إلى القدوة الحسنة للدعاة المسلمين، كلّ ذلك أدى إلى أن يسود التعايش بين المسلمين وغير المسلمين جيلاً بعد جيل. وبفضل هذا التعايش توَثَّقَت أواصر المودة والمحبة فيما بينهم، فهناك عدد كبير من غير المسلمين مدّوا يد المساعدة إلى المسلمين في بناء المساجد، من ذلك أن (وو رو) أحد الأرستقراطيين غير المسلمين الذي قدّم منزله لكي يكون مسجداً للمسلمين[1].

كما مكّن هذا التعايش المسلمين من جمع الأموال وإرسالها إلى أقربائهم وأصدقائهم المقيمين في أماكن أُخرى للحصول على مساعدتهم، وقد تمّ لهم ذلك عن طريق نشر الإعلانات في الصحف والمجلات، من ذلك مجلة (صوت المسلمين)[2]، وأن يطوّروا رسالة المساجد من مجرّد مراكز دينية لإقامة الشعائر الدِّينية، إلى مراكز تدار فيها جميع الأمور الاقتصادية والاجتماعية والمشاكل التي تحصل للمسلمين فيما بينهم وبين غيرهم. وهذا يشبه إلى حدٍّ كبير ما كان عليه المسجد ورسالته في صدر الإسلام. كما يلاحظ أن بعض هذه المساجد متألّقة بضياء التبادلات الثقافية بين الصين والبلاد العربية منبع الإسلام[3].

وقد كانت المساجد في الصين خير مَوْئِل للمسلمين المحتاجين على

(1) راجع: محمود يوسف (لى هواين)، كتاب **المساجد في الصين**، ص75.
(2) راجع: محمود يوسف (لى هواين)، كتاب **المساجد في الصين**.
(3) راجع: محمود يوسف (لى هواين)، كتاب **المساجد في الصين**، ص1.

مدار أكثر من ألف سنة؛ لأنها تفتح أبوابها للمسلمين الذين يلجأون إليها طلباً للإيواء المؤقت أياً كانت أسبابه[1].

المبحث الثالث: رؤى مستقبلية لتعزيز القيم الإسلامية في المجتمع الصيني:

لقد كانت الحضارة الصينية والحضارة العربية الإسلامية تمثّلان أعلى مستوى للحضارات العالمية في العصور الوسطى، وقدّمتا أكبر الإسهامات وأعظم المُنجزات للحضارات البشرية كلّها. وهذا ما أكّده المستعرب الصيني: (شريف شي سي تونغ)[2]، ولكن إذا نظرنا الآن بعين الإنصاف والحقّ نجد أنّ العالم الغربيّ المعاصر قد سبقنا أشواطاً كبيرة جداً في الاقتصاد والصناعة والتجارة والثقافة والتعليم وحقوق الإنسان والديموقراطيات السياسية والفكرية. فما السبب في تخلّفنا؟ ولماذا تقدّم الغرب أكثر من غيرهم؟ ولماذا أصبحنا ضعفاء وأصبحوا أقوياء؟ لماذا افتقرنا ولماذا اغتنوا؟ وأين تكمن أهمّ جوانب الخلل في الأمتين الصينيّة والعربيّة؟[3] من خلال الإجابة على هذه التساؤلات قد نتمكّن من معرفة العيوب والقصور لنتفاداها، ونصل لأهم الرؤى المستقبلية لتعزيز القيم الإسلامية في المجتمعين العربي والصيني، وما سيتمّ التركيز عليه ما يتعلّق بموضوعنا وهو القِيَم الأخلاقية الإسلامية وتأثيرها على المجتمع الصيني.

(1) المرجع السابق، ص100-101.

(2) المستعرب الصيني: الأستاذ الدكتور شريف شي سي تونغ، باحث وأكاديمي ومترجم صيني، يعمل أستاذاً في جامعة الدراسات الأجنبيّة في بكين، أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تتناول مواضيع شتى من الأدب العربي شعراً ونثراً، وهو أديب مليء بالتواضع العلمي، زار مصر وسورية وليبيا واليمن، يعرف كثيراً من آفاق الحياة السياسية في الصين والعالم العربي، كتب العديد من الدراسات حول أوضاع العالم العربي وثقافته وحضارته، يطمح إلى إقامة علاقات قوية بين العرب والصين في مختلف مجالات التعاون المثمر والبنّاء، من أوائل الباحثين الصينيين الذين أسهموا في وضع برنامج موحّد لتدريس اللُّغة العربية في الجامعات والمعاهد العليا في الصين كلها. ترجمته: من حوار في بكين أجراه الدكتور محمد عبد الرحمن يونس -محاضر سابق في جامعة الدراسات الأجنبية في بكين.

(3) المصدر السابق.

في الحقيقة أن كلّ ما نستقيه من خلال دراستنا للقِيَم الإنسانية في الإسلام نستطيع أن نجعل منه رؤى مستقبلية لتعزيز قِيَم الإسلام في المجتمع الصيني، وذلك من خلال العناصر الآتية:

• **مجال التسامح والرحمة والتعايش السلمي بين الناس:**

وهو ما أشاد به الكثير من أعلام غير المسلمين بالنبي محمد ﷺ من حيث خُلقه العظيم الذي أشاد به الله -تعالى- في كتابه العزيز ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]. وما دعا إليه من هذه الأخلاق العظيمة وطبقه في حياته من القِيَم الحضارية، التي قادت بعضهم إلى الاعتراف بسبق الإسلام في هذا المجال وغيره.

إن التسامح بين الطوائف والجماعات والدول - الذي تبناه النبي ﷺ يُعَدّ نموذجاً فذّاً في التسامح، فالنبي ﷺ لم يُكره اليهود ولا النصارى على قبول دينه، لأنهم أهل الكتاب؛ بل أمر النبي ﷺ بإكرام علماء أهل الكتاب كالبطارقة والرهبان وخدمهم وحرم قتل الرهبان حتى في حال الحرب[2]. ولسنا بصدد الحديث عن موضوع التسامح؛ وإنما تبيين أن التسامح هو من أهم الرؤى المستقبلية الذي دعا إليها الإسلام.

• **مجال حقوق الإنسان: (الحرية والعدالة والمساواة...):**

1 - مفهوم حقوق الإنسان، لا يمكن اعتباره مفهوماً علمياً متوازناً، يخضع في التقويم لمعايير واحدة، في كل المجتمعات على اختلاف الزمان والمكان والظروف والأحوال. وعلى سبيل المثال: فإن الحق في الحرية والعدالة والمساواة، وهي حقوق أساسية من حقوق الإنسان في العصر الحديث، لا تظفر بذات التقدير والوزن في كلّ المجتمعات، ولا توضع في نفس الدرجة من حيث الأهمية والأولويات، فبعض الدول تعطي

(1) سورة القلم، الآية رقم: 4.

(2) محمد مسعد ياقوت، **نبي الرحمة نبي الرحمة الرسالة والإنسان**، ص81.

الحرية مفهوماً سياسياً ظاهراً، وبعضها يعطيها مفهوماً اجتماعياً أو ثقافياً أو فردياً؛ بل يعطيها مفهوماً جنسياً، فيما يطلق عليه الحرية الجنسية، وهي الفوضى بذاتها. والمساواة قيمة عليا للإنسان، تخضع لظروف المصالح المادية وللمفاهيم الاجتماعية. والعدالة، تفسّر في كثير من الأحيان وَفْق المصالح والأهواء[1].

وعليه، فإن مفهوم القِيَم، يبدو متغيّراً ونسبياً، ولا يُمكن الاتفاق على مفهوم واحد للحرية أو المساواة، وضوابط هذا المفهوم التي تضمن صحته وبقاءه في التطبيق، مما يظهر لنا أن الاعتماد في تحديد القِيَم الإنسانية العليا ومفاهيمها وضوابطها، ينبغي أن يتجرّد من النسبية الزمانية والمكانية.

2 - وهذا ما راعاه الإسلام، فقد سما الإسلام بمفهوم الحرية والعدالة والمساواة، ووضع لها تصوّراً يضمن لهذا المفهوم بقاءه في إطار القِيَم الإنسانية العليا، ومفاهيمها وضوابطها، بتجرّد من النسبية الزمانية والمكانية، الأمر الذي جعل بعض الغربيين والشرقيين لهذا يُقرّون بأصالة الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان وبسبقه على غيره من المواثيق والإعلانات العالمية لحقوق الإنسان قديماً وحديثاً؛ بل قاد بعضهم إلى اعتناق الإسلام والدعوة إليه بحماس يلفت الأنظار، والإشادة بالقِيَم العقلانية في العقيدة والفكر، والقِيَم الإنسانية التي على رأسها قيمة الرحمة ومدلولاتها مثل: الشفقة، والعطف، واللطف، والفضل، والتسامح، والسماحة، واللين، والغفران، والعفو، والقيم الأُخرى الكثيرة مثل: العدل، والمساواة، والتوازن، والحقانية (حقوق الإنسان)، والمرونة ونبذ القومية والعصبية والعنصرية والقبلية والظلم والفساد الخلقي والفرقة والتكبر والغلو والجفاء، وحقوق المرأة، والطفل، والضعفاء، مثل: المسنّين والمعوّقين، والمرضى، والجيران،

(1) عبد الله بن عبد المحسن التركي، **حقوق الإنسان في الإسلام**، ص16.

والأرحام وكلّ الكائنات ذات الكبد الرطبة، وأسرى الحرب، وغيرها من المدلولات التي تبرز خصائص الإسلام التي مصدرها القُرآن الكريم الذي هو مصدر أخلاق النبي ﷺ كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

• **مجال حوار الحضارات**: أمر الإسلام بالحوار والدّعوة إليه بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة، والطّرق السليمة في مخاطبة الآخر. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2].

فالحوار إذن ممكن ما دامت هناك قواسم مشتركة، وهناك مجال للتّفاهم والتّقارب، فلنعمل على تقويتها وتعزيزها[3].

وقد ساق القُرآن الكريم أمثلة لهذا الحوار في مواقف عدة منها: حِوار الخالق ﷻ مع إبليس، حِوار نوح مع قومه، وحِوار هود مع قومه، وحِوار صالح مع قومه، وحِوار إبراهيم مع أبيه و قومه، وحِواره مع النمروذ، وحوار شعيب مع قومه، وحِوار موسى مع فرعون وقومه والعبد الصالح، والحِوار مع الملحدين، والحِوار مع المنافقين، والمشركين[4].

الحوار سُنّة الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- وسيرة النبي ﷺ مليئة بمواقف تدعو إلى الحوار والتفاعل الثقافي بين الشعوب والحضارات، والتعارف والاعتراف بالآخر، وتطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه

(1) سورة النحل، الآية رقم: 125.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 46.
(3) محمد مسعد ياقوت، **الإسلام ودوره في مشروع حوار الحضارات**، المشرف العام على موقع نبي الرحمة. yakut.blogspot.com أو yakoote@gmail.com
(4) عبد الله علي العليان، **حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين (رؤية إسلامية للحوار)**، ص59.

الإنسان، وإيجاد السّبل الضامنة لتحقيق التعايش والسلام والأمن؛ بل ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء ونكران الآخر.

وبناء عليه، فإنه في ظلّ الأحوال الراهنة في هذه الأيام، يمكن تطوير العلاقة الإنسانية بين الأمم، من خلال بناء مجتمعات تقوم على الحوار والحريّة، وحفظ الحقوق لأبناء المجتمع، واحترام حقّ الآخر في الاختلاف بعيداً عن التعصب والاستبداد، مجتمعات قائمة على التسامح والتراحم بين الناس، فيسود في هذا المجتمع العدل والمساواة والحرية، وكذلك يسود فيه اقتناع عام بأن اختلاف الآراء، والاجتهادات وتعدّدها ظاهرة اجتماعيّة صحيّة ومطلوبة.

• **مجال المشاركة الاقتصادية**، يمكن تعزيز العلاقات الاقتصادية بين البلاد الإسلامية وبلاد الصين، عن طريق نشر الكتب، والدراسات، والأبحاث التي تُعنى بوسائل تطوير التعاون بين الجانبين في المجالات العلمية والتقنية، والتكامل الاقتصادي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يمكن الاستفادة من الموقع الاستراتيجي لدول العالم الإسلامي بوصفها تتوسّط قارات العالم، وتزخر بثروات معدنية ونفطية وغيرهما من الموارد الأُخرى؛ في خدمة المسلمين وتحسين البنى التحتية وإنشاء المراكز العلمية للنهوض بالمستوى المتدنّي الذي يعانون منه، لا سيما وأن المنطقة العربية الإسلامية تعتبر بالمنظور الصيني أساسية في علاقاتها الدولية التي تنعكس على مصالح الصين.

وبناء عليه، فإن ما نستقيه من خلال دراستنا هذه، أننا نستطيع أن نجعل رؤىً مستقبلية لتعزيز القيم الإسلامية في المجتمع الصيني، وذلك من خلال سلوك الناس وعلاقاتهم التي تكاد في هذه الأيام تتحكّم فيها الأثرة والأنانية وحب الذات، فما أحوجنا اليوم إلى التمسّك بالقِيَم الإنسانية التي تزخر بها التعاليم الإسلامية. إذ لو سادت مثل هذه القِيَم، لترابطت المجتمعات، وتوطّدت العلاقات، وانقطعت النزاعات، وشاع الحب والوئام في كلّ

المجتمعات البشرية، ولبرز للعالم كله أن الإسلام هو دين الحب والسلام والإنسانية في أحلى صورها.

كما نطمح ونأمل إلى أن تدخل القِيَم الإسلامية ضمن مناهج التعليم التخصّصي في الكليات والمعاهد التي تهتم بأمر القِيَم الإنسانية، وإنشاء تخصّص باسم «مكارم الأخلاق في الإسلام».

إن العلاقات الثقافية بين الدول الإسلامية والصين بعيدة الآن عما يطمح إليه المثقفون المسلمون والصينيون الذين يدعون باستمرار لكي تقوم هذه العلاقات على أسس ثابتة، انطلاقاً من خطط ثقافية مدروسة لتعميق الروابط الأكاديمية والفنية والتربوية بين الجانبين، فتطوير العلاقات الثقافية بين المسلمين والصين ضرورة حيوية تحتمها المصالح المشتركة لكلا الجانبين.

إن ما نكتسبه من خلال القِيَم الإسلامية في المجتمع الصيني المسلم، هو التأسيس المشترك لنموذج تربوي صيني متسامح يستفيد من القِيَم الإسلامية السامية، ومنفتح على القِيَم الكونية التي راكمتها البشرية.

الخاتمة:

أولاً: النتائج.

من خلال دراستي لهذا الموضوع توصّلت إلى نتائج عدة، أهمها:

1 - تُعَدّ سيرة النبي ﷺ الشاهد الحي على قِيَم وتعاليم الإسلام.

2 - لم نتمكّن من فهم بعض القِيَم الإسلامية في المجتمع الصيني غير المسلم، ومعرفة كونه قد تأثّر بها تأثيراً واضحاً؛ وذلك للظروف التي مرّ بها المجتمع الصيني، الذي يعتبر منغلقاً عن غيره؛ ما يجعل من الصعوبة بمكان فهمه بشكل دقيق.

3 - من خلال عرضنا للرؤى المستقبلية نحاول استنباط القِيَم الأخلاقية من سيرة النبي ﷺ وكان الداعي لها ما تشهده الأمة اليوم من الخبط والخلط

في مسألة القِيَم، فقد أصبحت على إثره تعيش أزمة أخلاقية أدّت بالكثير من أبنائها إلى الارتماء في أحضان الحرية الفردية التي جرّت وبالاً كبيراً على المجتمع.

4 - أن الموقف السلبي للثقافة الغربية تجاه النبي محمد ﷺ يقابله موقف إيجابي من الثقافة الصينية تجاه نبينا الكريم ﷺ، فعندما تضمّنت الكثير من الأدبيات الغربية تهكّمات على النبي محمد ﷺ ظلّت الثقافة الصينية تعتبره أحد رموز الفضيلة والأخلاق في العالم، وظلّت صورته في الثقافة الصينية نقية طاهرة لم تخدش.

ثانياً: التوصيات.

1 - المزيد من الدراسات والبحوث حول الآثار والمآثر النبوية، ذات الارتباط بالثقافة الإنسانية عامة، وبالثقافة الصينية خاصة؛ لتعميق الدراسات في هذا المجال وتوسيعها، والتعرّف على ما استجد من معلومات ودراسات ذات صلة به، لا سيّما وأنّ نبيّنا محمد ﷺ إنما أُرسل رحمة للعالمين.

2 - إقامة متاحف ومعارض لغرض حفظ وعرض وبيان السيرة النبوية، ومحاولة تعريف المجتمع الصيني بالمآثر النبوية.

3 - تبنّي المنظمات الدولية في الدول العربية للإصدارات والمؤلّفات المتعلّقة بالسيرة النبوية، والمساهمة في نشرها باللغتين العربية والصينية؛ ومن ثَمّ توزيعها في الصين والبلاد العربية، ودعم التعاون العلمي بين هذه الدول، وبيان أهمية الحوار في علاقات الأمم والحضارات.

4 - المزيد من الجهد في مثل هذه الندوات لمدّ الجسور بين الثقافتين الإسلامية والصينية اللتين تضربان بجذورهما في أعماق أمتين عريقتين.

5 - نغتنم الفرصة بهذه المناسبة للتأكيد على أهمية دراسة المجتمع الصيني، وترجمة هذه الدراسات للُّغة الصينية، داعين الصينيين إلى الاستفادة من هذه الأعمال المُفعمة بالقِيَم الإنسانية السامية والذوق الأدبي الرفيع.

6 - التشجيع على تأليف الكتب حول القِيَم والمبادئ الإسلامية، باللُّغة الصينية؛ لما في الكتب من أثر وتأثير على المدى البعيد، ونضرب مثالاً على ذلك ما قاله (جون جي كونغ) الأستاذ بجامعة بكين: (إن الأستاذ جونغ انكب على مدار أربعين عاماً لتأليف كتاب حول تاريخ الأدب العربي). مضيفاً: (إلا أننا نفتقر إلى باحثين يتذرّعون بالصبر من أمثال جونغ).

7 - التأكيد مجدّداً على أن ما نستقيه من خلال دراسة القِيَم الإسلامية هو القِيَم الإنسانية العامة مثل الخير والحب والحرية والعدالة، والتي شجع عليها الإسلام ورسوله.

8 - النظرة من جديد، والعمل على تفعيل هذه القِيَم لتصبح قِيَماً عملية حية متحركة في حياتنا وسلوكنا ومجتمعنا، كما كانت حية ومتحركة في حياة الصحابة، كما ندعو إلى ضرورة إعادة قراءة القِيَم الإسلامية وتفعيلها في سلوكنا.

9 - نقترح على المسؤولين -حكّاماً وعلماء- وعلى المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية، وخاصة في الدول العربية بتوفير بعض الزمالات الدراسية للطلبة الصينين المسلمين؛ لغرض دراسة اللُّغة العربية والعلوم الإسلامية ليكون منهم أئمة في المساجد ومدرّسون ودعاة في مناطقهم المسلمة.

10 -نقترح على الدول الإسلامية والمنظمات والجمعيات الإسلامية دعم الأقليات المسلمة وتحصين إيمانهم.

11 -تخصيص عدد من البعثات الدراسية للطلبة الصينين لدراسة الدِّين الإسلامي، وإرسال معلمين ودعاة إلى الصين لتوضيح الدِّين الإسلامي، خاصة في المناطق المسلمة، والتواصل مع المسلمين الصينيين، بدعوتهم إلى المؤتمرات والندوات الإسلامية، وتزويدهم بالكتب الدِّينية وتشجيع ترجمة بعض المراجع الدِّينية المهمة إلى اللُّغة الصينية، والاهتمام بالصينيين المسلمين الذين يعملون في الدول العربية، وشرح مبادئ الدِّين الإسلامي ومفاهيمه لهم.